ISSN 2170-0796

ثوار " الفيس بوك " و أوهام دون كيشوت

بقلم طارق الاندلس

اعتمدت الثورات عبرا لتاريخ على النضال و الإيديولوجيات, ابتغاء التحديث و التجديد في الرؤية والسياسة والأسلوب والأداء. ليس من المعقول أن نربط " بالفيس بوك" خروج الشباب , النساء والشيوخ للمطالبة بحقوقهم. هذا تصغير للنضال و التضحية و تقزيم للعقل الإنساني بحصره في عقل مبرمج ، ينفذ ما يرسل له عبر الانترنت.

ولا نكون أغبياء بربط جهود سنين من النضال بوسيلة رقمية تزامنت مع نهوض العقل العربي و رفضه للذل و الحقرة والتطلع للانتقال إلى مرحلة جديدة من الوعي والإدراك والتنظيم السياسي والاجتماعي.

إن التغيرات تأتي بالنضال و العمل المهيكل و لا تأتي بالأفكار الطائشة، كلُ من وراء شاشة الكمبيوتر بطل ومنظر بأسماء مستعارة ، و الغريب عند تصفحك " للفيس بوك" ، فإن جل المشاركين ذوو أسماء غريبة : أبطال الرسوم المتحركة ،أفلام الرعب ،لاعبي كرة القدم ،نجوم البوب و الهيب هوب..... و القائمة تطول.....

فالشيء يدل بكل بساطة وبدون فلسفة على انعدام الأفكار و التوجه عند الجميع، بل التأثير المباشر بما يشاهده المشارك. حتى الكتابة غير معبرة ، لا عامية, لا فرسية, لا إنكليزية ولا عربية ،كما نقول بالعامية "هدرة زنقة". بغض النظر عن السؤال الكلاسيكي من المستفيد من "الفيس بوك" ؟ و لماذا مجانية التعامل بهذه الوسيلة في هذا الوقت رغم تواجده منذ سنين.

المتتبع لـ" الفيس بوك"، على سبيل المثال يلاحظ أن هذه المجموعة "الفيس بوك" أغلقت تحاور مجموعة من العمال للمطالبة بحقوقهم بعد حادثة تفجير المحطة البترولية (Deep Water Horizon)التابعة لشركة (BP). خلال السنة الماضية بفرسا تمت متابعة مجموعة "الفيس بوك" لنشرها صور قس فرسي مع مجموعة تدعوا إلى الحقد العرقي وكذلك متابعتها قضائيا من طرف طالب جامعي للسماح بنشر دعوات محرضة للنازية و العنصرية. ولقد حذر المجلس الوطني الفرسي للإعلام (CNIL) في أكتوبر 2010 باستعمال "الفيس بوك". من الملا حض في شروط استعمال " الفيس بوك" إذا أراد المشارك حذف حسابه فالعملية تستدعي مدة من الزمن أكثر من نصف شهر مما يمكن المجموعة من تحميل كل معلومات المشارك .

الشئ اللافت للانتباه هو أن أي مسجل في " الفيس بوك" يجد نفسه مضطراً بدون أن يشعر إلى الإدلاء بتفاصيل ومعلومات مهمة عن حياته، أسرته، وظيفته، أصدقائه، محيطه و أغواره النفسية، مما يشكل كماً من المعلومات لأي جهة ترغب في معرفة أدق التفاصيل عن الشعوب وبالتالي كشف نقاط ضعف من الصعب اكتشافها في الحوارات العادية فيسهل تجنيد العملاء بطرق مباشرة أو غير مباشرة.

حقا هذه الوسائل الرقمية أسرعت في تبادل المعلومات و تسهيل المواعيد ولكن لا نقزم جهود المنظرين والمناضلين عبر السنين .مثلا ما حدث في تونس و مصر ناتج عن نضال طويل وقديم قامت به الحركات بكل إنتماءتها، فمعروف دور حركة النهضة ، الإخوان المسلمين ، الشيوعيين ،.....و..... فلا نحصر جهود التضحيات في ضغطة زر على الكمبيوتر.

لا نوهم أنفسنا بثورة "الفيس بوك" و نغالط الواقع وإلا أصبحنا في دوامة أحلام و أوهام دون كيشوت ورفيق رحلته سانتشو في أحلامهم الفروسية و البطولية ومحاربة الطاحونة العملاقة, فالأمم والدول لا تقوم على أساس هذه الثورة. لكل ثورة مكاسب و إن حصرنا انتفاضات الشعوب في "ثورة الفيس بوك" ،حتما يكون المكسب رقمي و بالتالي تُسرق الثورة وتُدار الشعوب رقمياً من الجهة المتحكمة في الرقمَنَه.

ISSN 2170-0796

إذا إننا مقدمون على مرحلة إن لم يدركها المفكرون و علماء الاجتماع نصبح في استعمار رقمي جديد . إن تداول فكرة " الشعب يريد إسقاط النظام "، يعني تكريس المضاد وهو لا نظام "الفوضى" وأجزم أن هذه الشعارات ليست من العدم. والمثير في الأمر انسياق الشباب وراء دعوات العصيان في الوطن العربي من جهات مجهولة من دون إطار يشرف عليه ويتبنى أفكاره.

منذ أن بدأت ثورة تونس تم تميعها بإطلاق "ثورة الياسمين" عليها و اقنعوا الجميع على أن لا دور ولا مكان لرموز الحركة السياسية والثقافية والاجتماعية في الثورة و أنجر الشباب بمصر بكل سذاجة في الفكرة بدون أن يدرئوا خطورتها. فالإخوة الليبيون من نضج وعيهم الفكري لطول المعاناة، كانت شعاراتهم رَد إيديولوجي، مثلا ابسط الشعارات ذات مدلول فكري عميق ."الله، الشعب، ليبيا وبس" حطم الشعار الإيديولوجي الذي ابتكره فكر العقيد القذافي منذ سنين ورسخه في الأجيال.

ابتعادا عن إشكالية المؤامرة و.....و..... بكل بساطة لسنا نحن صانعي هذه التكنولوجيا الإعلامية و بالتالي لا يمكن أن نكون نحن المتحكمين فيها و مسطري أهدافنا !!فمن المستفيد من الكم الهائل من المعلومات الشخصية و الجماعية المدونة في "الفيس بوك"؟

من البديهي أن الجهات الغربية و الصهيونية كما كانت و مازالت تقوم بتحليل كل ما ينتج من فكر و مقالات صحفية للدول الأخرى (العربية و الآسيوية)، الآن أصبح التحليل بسيط وفي العمق فهو تحليل مباشر لأفكار و توجهات و تكوين شريحة الشباب و غيرهم عبر ما يعبرون عنه في "الفيس بوك". من المفارقات أن الإعلام المرئي يطل علينا بأبطال ما سموه بمفجري الثورة عبر "الفيس بوك". ألف سؤال يطرح: من هؤلاء؟ كيف وصل إليهم الإعلام من دون غيرهم؟ و كأن الأمر موجه من جهة ما لصناعة أبطال من نوع مدمني "تشاتش" في الشبكة العنكبوتية ، تذرف الدموع على الفضائيات .

فهل الطبقة البسيطة من سكان الأحياء الشعبية مربوطة بشبكة الإنترنيت؟ هذا إن لم تكن أصلاً مربوطة بشبكة الكهرباء. إن تحرك الكتلة الشعبية ناتج عن احتقان حقيقي و رغبة في التغيير. لم تكن أبدا الثورة في بعض البلاد العربية وليدة لحظة أو دعوة في "الفيس بوك" و"تويتر"، وإنما جاءت نتيجة نضال طويل من الحركة السياسية والاجتماعية والوعي لدى الشعوب.

آه ... يا طرابلس

اقذفيني ... يا طرابلس
في محك التاريخ
أرمى بجذوري في البحر
تحت أنغام الصواريخ
فالشعب للحاكم .....
إن رفض ... فليقتات الزرنيخ
لطفا ... يا طرابلس
فوالينا ما خان
و لا استكان
إذا الشعب هز الميزان
فلتزلزل الأوطان
و تُصف الأكفان

آه ... يا طرابلس
أشعارنا كلمات منسجمة
في محافل مكرمة
للأذهان غير مترجمة
إذا كانت الأصوات مكممة
و انتشر أصحاب مسيلمة
حتما ... تهتز الأنظمة
طرابلس ... تحت وقع الجمر
تعانق البحر
تتطلع لبزوغ الفجر
فلتتحرر ..... لتسقط المدمر

من شعر طارق الاندلسي